

بسم الله الرحمن الرحيم الحديث الأول

قال رسول الله ﷺ :

« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ،
احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو
أنى فعلتُ كان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّرَ الله ، وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح
عمل الشَّيْطَانِ » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب القدر : باب فى الأمر بالقوة وترك
العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤ / ٢٠٥٢ رقم (٢٦٦٤) . ط عيسى
الحلبى بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الأولى ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فى القدر ١ / ٣١ رقم (٧٩) ، كلاهما
من حديث أبى هريرة مرفوعاً به ، وزاد ابن ماجه فى : كتاب الزهد : باب التوكل
واليقين ٢ / ١٣٩٥ رقم (٤١٦٨) رواية أخرى عن أبى هريرة بنحو ما تقدم غير أنه
قال فيها : « ... فإن غلبك أمر فقل : قَدَّرَ الله وما شاء فعل ، وإياك واللو ، فإن
اللو تفتح عمل الشيطان » .

والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٦٦ ، ٣٧٠ بنحو رواية ابن ماجه الثانية إلا أنه
قال : « ... وما شاء صنع » .

معناه :

تتميز شخصية المسلم بأنها شخصية جامعة لكل خصال الخير ، فهى : مؤمنة عالمة
- قوية - شجاعة - متجردة - صبورة - متأنية - أمينة - سخية - عفيفة - مجاهدة - رحيمة
- لا تأخذها فى الله لومة لائم - ذكية - حريصة على كل ما ينفعها - مستعينة بالله - غير
عاجزة ولا كسول ، راضية بقضاء الله وقدره - حذرة لا تدع فى حياتها مجالا أو
مدخلا للشيطان ... وهلمّ جراً .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيان معناه الآن : دعوة صريحة وواضحة إلى التحلى والتخلق بواحدة من خصال الخير . أجل : إنه دعوة إلى التخلق والتحلى بالقوة ، ولكى يكون لدينا تصور دقيق عن هذه الخصلة سنتناولها فى الفقرات التالية :

الفقرة الأولى : المراد بالقوة فى الحديث .

الفقرة الثانية : منزلتها من الإسلام .

الفقرة الثالثة : فوائدها ونماذج لها من حياة رجال هذه الأمة .

الفقرة الرابعة : الطريق إلى اكتسابها والتحلى بها .

وذلك على النحو التالى :

أولاً : المراد بالقوة فى الحديث :

ويراد بالقوة هنا فى هذا الحديث : عزيمة النفس الصادقة ، وهمتها العالية ، وإرادتها المتينة ، وذكاؤها الوقاد ، وذلك - بالطبع - تابع من صحة البدن وسلامته من العلل والأمراض ، إذ قديماً قالوا : « العقل السليم فى الجسم السليم » .

أما قوة الجسم مع خواء النفس وخرابها ، ومع العزيمة الفاترة ، والهمة الدانية ، والإرادة الهزيلة ، والغباء وتبلد الحس ، فذلك كله غير مراد من الحديث ؛ إذ كيف يحب الله من كانت هذه صفته وقد أهلك كثيراً من الأقوياء الجبابرة حين قطعوا أنفسهم عنه ، وتمردوا على حكمه ، وأداروا ظهرهم لمنهجه ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ؟ ! ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾

[الفجر]

ثانياً : منزلة القوة من الإسلام :

والقوة بهذا المعنى لها منزلة رفيعة ، ومكانة سامية من الإسلام ؛ إذ هى الطريق الوحيدة للقيام بواجب الجهاد الذى هو ذروة سنام هذا الدين ، بل هى الطريق الوحيدة لالتزام المسلم بإسلامه التزاماً كاملاً .

ولعل هذا هو السرّ فى إشادة المولى - عز وجل - وأمره بها ، فقد وعدها عاداً قوم

هود قائلاً على لسان هود عليه السلام :

﴿ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢] ، وأمر بها قائلاً : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[الأنفال : ٦٠]

وكذلك ورد عن النبي ﷺ أنه كثيراً ما كان يستعِذُ بربه من كل أسباب ومظاهر الضعف « ... وأعوذ بك من العجز والكسل ... » (١) .

بل إنه ﷺ حين أخبر عن المؤمن القوى بأنه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، كان يرمى إلى الاهتمام بالقوة ، والحرص عليها ، وعدم التفريط فيها .

(١) الحديث بهذا اللفظ قطعة من حديث مطوّل ، أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الصلاة : باب في الاستعاذة ٢ / ٩٣ رقم (١٥٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد ، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة فقال : « يا أبا أمامة ، مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة ؟ » قال : هموم لزممتني وديون يا رسول الله ، قال : « أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك ؟ » قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال : ففعلت ذلك ، فأذهب الله - عز وجل - همي ، وقضى عني ديني . وفي الباب غيره من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والبخل ، والهم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

ويمثل وينحو حديث أنس أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب ما يتعوذ من الجبن ٤ / ٢٨ ، وكتاب الأطعمة : باب الخيس ٧ / ٩٩ ، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من غلبة الرجال ، وباب التعوذ من فتنة المحيا والممات ، وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨ / ٩٦ - ٩٨ .
ومسلم في : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٤ / ٢٠٧٩ رقم (٢٧٠٦) ، كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه وزاد مسلم في : باب التعوذ : « من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل » ٤ / ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) رواية أخرى من حديث زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنهما .

ورواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهم ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب القبر » ، الجهاد والسير : باب ما يتعوذ من الجبن ٤ / ٢٨ ، وكتاب الأطعمة : باب الخيس ٧ / ٩٩ ، وكتاب الدعوات : باب التعوذ من غلبة الرجال ، وباب التعوذ من فتنة المحيا والممات . وباب الاستعاذة من الجبن والكسل ٨ / ٩٦ - ٩٨ .

ومسلم في : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب التعوذ من العجز والكسل وغيره ٤ / ٢٠٧٩ ، رقم (٢٧٠٦) ، وباب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤ / ٢٠٨٨ رقم (٢٧٢٢) ، ورواه الترمذي في : السنن : كتاب الدعوات [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ١٣ / ٧٨] .

ثالثاً : فوائدها ونماذج لها من حياة رجالات هذه الأمة :

وانطلاقاً مما قدّمنا ، فإن للقوة فوائد كثيرة منها :

١ - الجرأة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون خوف أو مجاملة : كما وقع من أبى حازم مع عبد الملك بن مروان ، وكما وقع من عز الدين بن عبد السلام مع الظاهر بيبرس البندقدارى ، وكما وقع من شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية مع غازان التترى ، وغير هذا كثير .

٢ - حب الجهاد ، والمصارعة فى الخروج إليه ، والجرأة فى الإقدام على العدو ، بل والذهاب فى طلبه ، كما صنع بلال مع سيده أمية بن خلف فى غزوة بدر الكبرى ، وكما فعل عبد الله بن مسعود مع أبى جهل - زعيم الشرك والوثنية ، وكما وقع مع حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة فى غزوة أحد .

٣ - الصبر على الأذى ، واحتمال المشاق فى ذات الله ، مثل ما وقع من المسلمين الأوائل فى مواجهة الأذى والاضطهاد ، ومثل ما هو كائن الآن فى مصر وفى سوريا وفى غيرهما من البلدان .

٤ - المحافظة على الشعائر التعبدية من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وقراءة قرآن ، وذكر ودعاء ، واستغفار ، وصدقة تطوع - ونحوها - مع النشاط فى أدائها ، والإكثار منها على نحو ما كان يصنع كثير من السلف ، إذ كانوا يقضون ليلهم فى القيام ، ونهارهم فى الصيام دون سأم أو ملل .

رابعاً : الطريق إلى اكتسابها والتحلى بها :

والطريق إلى اكتساب هذه القوة والتحلى بها هو :

١ - الإخلاص لله - عز وجل - قولاً وعملاً وخاطراً ، بحيث لا يبقى فى قلبك شئ لغير الله - عز وجل - على حدّ قوله تعالى له : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الانعام] ، فإن من أعطى نفسه لله أعانه الله وكان معه ، وما تخلى عنه أبدا .

قال تعالى عن أهل الكهف :

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ [الكهف] .

٢ - التجرد من كل حول وقوة ، إلا من حول الله وقوته ، فإن من جاهد نفسه حتى وصل إلى هذه المرتبة يجد تأييد الله ورعايته في كل شيء ، ولعل هذا ما يشير إليه قول النبي ﷺ : « أكثروا من : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كثر من كنوز الجنة » (١) .

٣ - عدم الشعور بالضعف أو العجز ، فإن من يشعر بالضعف أو العجز يفقد الثقة بنفسه ، وبالتالي يكسل عن تعاطي ما هو نافع ومفيد ، ولعله ما يلمح إليه قول النبي ﷺ في الحديث : « ... ولا تعجز » .

٤ - الحرص على التحلى بكل ما هو نافع ومفيد ، وليس هناك أنفع للبشرية كلها من منهج الله عز وجل ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥٠) [المائدة] . ولقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى ذلك حين قال : « احرص على ما ينفعك » .

٥ - المحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل : كقيام الليل ، وصوم التطوع ، وصدقة التطوع ، والذكر ، والدعاء ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ، فقد جاء في

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في : المسند ٢ / ٣٣٣ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، كما أخرجه بالفاظ مختلفة في المواضع التالية ٢ / ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤١٩ ، ٥ / ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ، وبمثله وبنحوه أخرج البخاري في : الصحيح : كتاب الدعوات : باب إذا علا عقبة ، وباب قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ٨ / ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، وكتاب القدر : باب لا حول ولا قوة إلا بالله ٨ / ١٥٥ ، ١٥٦ ، وكتاب التوحيد : باب ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ٩ / ١٤٤ .

ومسلم في : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤ / ٢٠٧٦ - ٢٠٧٨ رقم (٢٧٠٤) .

وأبو داود في : السنن : كتاب الصلاة : باب في الاستغفار ٢ / ٨٧ رقم (١٥٢٦ - ١٥٢٨) ، والترمذي في : السنن : كتاب الدعوات : باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ٥ / ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ رقم (٣٤٦١ ، ٣٥٨١) باب ما جاء في فضل التسييح والتكبير والتهليل والتحميد ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الأدب : باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله ٢ / ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ رقم (٣٨٢٤ - ٣٨٢٦) ، كلهم من حديث أبي موسى الأشعري وزاد الترمذي رواية أخرى من حديث قيس ابن سعد بن عباد ، وعقب عليها بقوله : « هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه » ، وابن ماجه روايتين إحداهما من حديث أبي ذر والأخرى من حديث حازم بن حرمله ، وعقب البوصيري على الروايتين الأخيرتين لابن ماجه كما في : [مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٤ / ١٣٥ - ١٣٧] بقوله عن حديث أبي ذر : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ... » وبقوله عن حديث حازم بن حرمله : « لم يخرج ابن ماجه لحازم بن حرمله سوى هذا الحديث ، وليس له رواية في شيء من الخمسة الأصول ، وإسناد حديثه فيه مقال ... إلى أن قال : وله شاهد من حديث أبي هريرة . رواه الترمذي وضعفه » .

الحديث القدسي : « ... وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » (١) .

٦ - التقشف فى العيش ، ونبذ حياة الترف ، والدعة ، والراحة ، فإن ذلك مما يعين النفس على الصبر ، وقوة التحمل ، ومجابهة الخطوب والشدائد .

٧ - مطالعة سيرة السلف ، والوقوف على مقدار مالاقوا من شدة وأذى واضطهاد ، فإن ذلك يولد فى النفس إكباراً لهؤلاء ، وتوقيرهم ، وبالتالي محاولة الاقتداء والتأسي بهم ، أو على الأقل الاقتراب منهم ، على حد قول القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

٨ - دوام التأمل فى النفس وفى الكون ، فإن ذلك مما يعرف الإنسان بحقيقة نفسه ، فلا يتكبر ولا يصاب بغرور ، بل يسعى جاهداً فى طريق الكمال . ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١) [الذاريات] .

٩ - مذاكرة العلم وحضور مجالسه ، فإن ذلك مما يعرف النفس بعيوبها ، وطريق الخلاص من هذه العيوب ، فضلاً عن أنه يكون سبباً فى السكينة والوقار والرحمة ، بل والذكر فى الملأ الأعلى : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (٢) .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ٨ / ١٣١ من حديث أبى هريرة مرفوعاً ، والإمام أحمد فى : المسند ٦ / ٢٥٦ من حديث عائشة بلفظ مختلف .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٤ / ٢٠٧٤ رقم (٢٦٩٩) من حديث أبى هريرة ، وفى الباب غيره بلفظ مختلف ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : أبواب الوتر : باب فى ثواب قراءة القرآن ٢ / ٧١ رقم (١٤٥٥) ، والترمذى فى : السنن : أبواب القراءات [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالکى رقم ٦٤ / ١١] مطولاً ، وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨٢ رقم (٢٢٥) ، وكتاب الأدب : باب فضل الذكر بلفظ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة ، وتغشيتهم الرحمة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ٢ / ١٢٤٥ ، وأحمد فى : المسند فى أكثر من موضع ٢ / ٢٥٢ ، ولفظ مختلف فى ٢ / ٤٠٧ ، ٤٤٧ ، ٣ / ٣٣ ، ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٤ .

١٠ - مصاحبة الصالحين والأخيار من الناس ، فإنهم يذكرونك إذا نسيت ، ويعينونك إذا ذكرت : « من يرد الله به خيرا يهده خليلا صالحا ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه » (١) .

١١ - الابتعاد عن المعاصي والسيئات : فإنها تضر بالبدن والعقل ، بل وبالدين : « خمس أعيذكُم بالله منهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن : ما ظهرت الفاحشة في قوم فعلنوا بها إلا ظهرت فيهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن فيما مضى من أسلافهم ... » الحديث (٢) .

١٢ - ممارسة بعض الأنشطة الرياضية التي تنمي الجسم وتقويه ، كالرماية ، والسباحة ، والمصارعة والعدو ، ونحو ذلك .
ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلي :

١ - ضرورة تحرك المسلم واهتمامه بقلبه وعقله وبدنه ؛ حتى يصبح قويا قادرا على تنفيذ المهام والواجبات المنوطة به ، فضلا عن ظفره بحب الله - عز وجل - ومغفرته ورضوانه .

٢ - ضرورة التحرر من العجز والكسل بالاستعانة التامة بالله - عز وجل - وكذلك بالحرص على كل ما فيه خير وصلاح .

٣ - ضرورة سدّ الطريق على الشيطان المثبّط للعزائم ، ألا يسمع المسلم لو سوسته ولو بكلمة « لو » ندما على ما لا فائدة فيه من نزول كارثة أو وقوع محنة ، بل عليه أن يقول : « قدر الله وما شاء فعل » . بيد أنه يستثنى من هذه الحالة : من قال ذلك

(١) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الخراج والإمارة والفتى : باب في اتخاذ الوزير ٣ / ٣٣ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ٤٩ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الفتن : باب العقوبات ٢ / ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، رقم (٤٠١٩) من حديث عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا الميكال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم ، فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم تحكّم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

تأسفا على طاعة، أو لأن الأمر متعذر عليه، وفيه خير كثير لو تحقق، ومن ذلك قوله ﷺ: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، لما سقت الهدى، ولجعلتها عمرة»^(١).

٤ - ضرورة الرحمة والإشفاق على المسلم الملتزم بالإسلام فى نفسه ، المقصر فى واجب الدعوة والجهاد، إذ هو مع تقصيره هذا خير من ملء الأرض ممن يحاربون الله ورسوله، ويتظاهرون بالإسلام ، ويبطنون الحقد والكفر والضلال، وقد لفت النبى ﷺ الأنظار إلى هذه الفائدة حين قال فى حديث الباب : «... وفى كل خير...» .

(١) جزء من حديث أخرجه بطوله مسلم فى: الصحيح: كتاب الحج: باب حجة النبى ﷺ ٨٨٦/٢ - ٨٩٢ رقم (١٢١٨)، وأبو داود فى: السنن: كتاب المناسك - الحج: باب صفة حجة النبى ﷺ ١٨٢/٢ - ١٨٦ رقم (١٩٠٥)، وابن ماجه فى: السنن: كتاب المناسك: باب حجة الرسول ﷺ ١٠٢٢/٢ - ١٠٢٧ رقم (٣٠٧٤)، والنسائى فى: السنن: كتاب الحج: باب الكراهية فى الثياب المصبغة للمحرم ١٤٣/٥، والدارمى فى: المناسك: باب فى سنة الحاج ٢/ ٤٥ - ٤٩، وأحمد فى: المسند ٣/ ٣٢٠ وذكره مختصراً فى ٣/ ١٤٨، ٢٦٦.

الحديث الثاني

قال رسول الله ﷺ:

« لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا ، فيجعلها الله - عز وجل - هباءً منثورا ... أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » .
تخريجه :

الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الذنوب ٢ / ١٤١٨
رقم (٤٢٤٥) ، وورد فى : الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير ٢ / ٣ .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٣ رقم (٣٩٠٤) كلهم من
حديث ثوبان رضي الله عنه .

معناه :

يحرص الإسلام على أن تظل ملكة المراقبة لله - عز وجل - قوية مكنية فى النفس ، تحرس المسلم وترعاه إذا خلا بنفسه ، فلا ينتهك حرمان الله ، ولا يهمل ولا يقصر ، وحتى لو أخطأ ، وزلت به قدمه ، فإنه سرعان ما يتذكر اطلاع الله - عز وجل - عليه ، وعلمه بما وقع منه ، فيقلع عن هذا الخطأ ، ويعزم عزماً أكيداً على ألا يعود إليه أبداً . والحديث الذى نحن بصدده الآن دعوة صريحة إلى دوام مراقبة الله - عز وجل - والحياء منه فى السر والعلن ، فى الخلوة والجلوة ، ولكى تستقر هذه الحقيقة فى ضمير المسلم ، ولا تغيب عنه أبداً ، سلك النبي ﷺ مسلك القصة والحكاية ، فأخبرنا أنه علم بواسطة الوحي أن هناك جماعة من أمة يجيئون يوم القيامة بحسنات كثيرة جداً ، تشبه فى كثرتها ذرات الرمال ، وحبات الحصى التى يتكون منها جبل تهامة ، بيد أن الله - عز وجل - لا يعبأ بها ولا يقيم لها وزناً ، والسر فى ذلك : أن هذه الجماعة كانت إذا خلت بمحارم الله انتهكتها ، ولم تحافظ عليها . وقصد النبي ﷺ من وراء هذه القصة أو هذه الحكاية أن نعتبر ، وأن نتدارك الأمر قبل فواته ، فلا نقع فيما وقع فيه هؤلاء : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر] .

ولما كانت مراقبة الله - عز وجل - هي الأساس في التزام المسلم بإسلامه ، وعدم انتهاكه لحرمان الله ؛ لزم أن نتكلم عن :

* الوسائل التي تعين على تنشئتها في النفس .

* الوسائل التي تنميها وتركيها في النفس .

وذلك على النحو التالي :

أولا : الوسائل التي تعين على تنشئة ملكة المراقبة في النفس :

يعين على تنشئة ملكة المراقبة في النفس :

١ - اليقين الكامل بأن الله - عز وجل - عالم بكل ما يقع منه ومن غيره ، سرا كان ذلك أو علانية ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الانعام] . فإن المرء إذا استقرت هذه الحقيقة في نفسه ، فإنه يستحي أن يراه الله حيث نهاء ، أو يفقده حيث أمره .

وقد أكد الحق - تبارك وتعالى - على هذه الوسيلة حين قال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

٢ - واليقين الكامل بأن الله - عز وجل - يحصى عليه كل ما يقع منه وسينبؤه به كله يوم القيامة ، بل وسيجازهه عليه بالسوء سوءا ، وبالإحسان إحسانا ، فإن المرء إذا أيقن بهذه الحقيقة ، فإنه يتدارك أمره قبل الموت ، وقبل قوات الأوان ، ويقطع عن غيه وضلاله ، ويلزم طريق الجادة : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فُتْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف] .

ثانيا : الوسائل التي تنمي ملكة المراقبة وتركيها في النفس :

أما الوسائل التي تنمي ملكة المراقبة وتركيها في النفس فهي :

١ - المواظبة على الطاعات من : صلاة مفروضة ، ومن قيام ليل ، ومن زكاة واجبة ، ومن صدقة تطوع ، ومن صيام ، ومن حج ، ومن قراءة قرآن ، ومن ذكر ، ومن دعاء ، ومن استغفار ، ومن تأمل في النفس وفي الكون ، ومن محاسبة للنفس ، ومن عتاب وتأنيب وتوبيخ لها ، بل ومعاقبة عند التقصير والتعدي على حدود الله . . . إلخ .

٢ - لزوم الجماعة، والعيش معها، وعدم التخلي عنها، فإن ذلك يقطع الطريق على الشيطان، إذ يتهز الشيطان فرصة تفرد الإنسان وخلوته بنفسه، ويبدأ في الوسوسة والإغراء، وتزيين المعاصي والسيئات، حتى يقع في الهاوية والعياذ بالله، ولعل هذا هو السر في أنه ﷺ دعا إلى لزوم الجماعة، وأكد على ذلك حين قال :

« إياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد » (١) .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

١ - لزوم مراقبة الله - عز وجل - في كل الظروف وفي كل الأحاديث ، فإنها - إن شاء الله - هي الواقي من الزلل ، ومن انتهاك حرمان الله ، بل هي المعين على الالتزام الدقيق بمنهج الله ، وقد ورد عن السلف أنهم كانوا يحرصون على تنشئة ملكة المراقبة في نفوس أولادهم منذ نعومة أظفارهم .

جاء عن أبي القاسم الجنيد : « أنه أراد أن يختبر تلاميذه في مراقبة الله - عز وجل - فقال لهم : غدا سنقوم برحلة خلوية إلى الصحراء ، وعلى كل منكم أن يأخذ من أبويه فرخا، وأن يذبحه في مكان لا يراه فيه أحد ، وأن يأتي به لنقوم بإعداده وإنضاجه ، ثم نأكل سويا ، فغابوا وجاءوا في اليوم التالي، وكلّ قد ذبح فرخة إلا تلميذا واحداً جاء بفرخه حياً دون أن يذبحه، فسأله الشيخ : لماذا لم تنفذ وصيتي ؟ فأجاب : لقد شرطت علينا أن نذبح الفرخ في مكان لا يرانا فيه أحد ، وعندما حاولت التنفيذ وجدت هذا الأحد معي ، كنت إذا دخلت البيت وجدت هذا الأحد معي ، وإذا صعدت فوق السطح وجدت هذا الأحد معي ، وإذا ذهبت في القلاة وجدت هذا الأحد معي ، فسأله شيخه : من هذا الأحد ؟ فأجاب : الله . فعانقه المربي وقال له : أنت ابني حقا » (٢) . وهكذا يجب أن نربي أنفسنا وأولادنا ، وأهلينا، وسائر المسلمين .

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في : كتاب الفتن : باب ما جاء في لزوم الجماعة ، بتقديم : « عليكم بالجماعة » على : « وإياكم والفرقة » . [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩ / ٩] ، والإمام أحمد في : المسند ٥ / ٧٠ ، ٧١ مختصراً . ورواه في موضع آخر بلفظ : « ... فمن أراد بحبوة الجنة فليزِم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ... » ١ / ١٨ ، ٢٦ .
(٢) القصة أوردها الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه : إحياء علوم الدين ٤ / ٣٨٤ بتصرف .

٢ - دور القصة فى تثبيت المعانى فى النفس ، وتمكينها منها فلا تنسى ؛ إذ النفس بطبيعتها وفطرتها ميالة إلى الحكاية محبة لها ، ولعل هذا هو السر فى ورود القصة فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية ، وقد لفت الله - عز وجل - الأنظار إلى فوائدها حين قال : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] .

٣ - ضرورة لزوم الجماعة والتخلق بأخلاقها ، فإنها توظف الجهد البشرى كله ، وبالتالي لا يبقى لدى المسلم لحظة فراغ يخلو فيها بنفسه ، فيضحك عليه الشيطان ، أو يفسد عليه حياته . وقد أكد السلف على لزوم الجماعة حتى عدوا الإسلام بدونها ناقصا ، جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة ، ولا طاعة إلا ببيعة » ^(١) .

٤ - وجوب المحافظة على الحسنات التى يقترفها المسلم ، وعدم إضاعتها بارتكاب المعاصى والسيئات ، وإلا كان كالسفيه يكون المال موفورا بين يديه ، ثم يضعه فى المضار والمنكرات . ويعينه على ذلك أن يضع فى حسابه ، أنه إن استمر على طاعة الله زاده الله هدى وتقى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (١٧) ﴿ [محمد] ، ﴿ وَمَنْ يَقْتِرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢٣) ﴿ [الشورى] .

(١) الاثر أخرجه الدارمى فى : السنن : المقدمة : باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ١ / ٧٩ من حديث عمر موقوفاً إلا الجملة الأخيرة : « ولا طاعة إلا ببيعة » .

الحديث الثالث

قال رسول الله ﷺ :

« مالى وللدنيا ، وما للدنيا ومالى ! والذى نفسى بيده ، ما مثلى ومثل الدنيا ، إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ، ثم راح وتركها » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠١ من حديث ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال : يا نبي الله ، لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا ، فقال : « مالى وللدنيا ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ، ثم راح وتركها » .

وأخرجه الترمذى فى : السنن : أبواب الزهد من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاءً ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكي ٩ / ٢٢٣] .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٦ رقم (٤١٠٩) بلفظ مختلف .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين ص ١٨٦ باب : فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر ، من حديث عبد الله بن مسعود . ثم عقب عليه بقوله : « رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح » ، وأورده الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٥٤ رقم (٥٥٤٥) من حديث عبد الله بن عباس به .

معناه :

خلق الله - عز وجل - الإنسان ، وجعله خليفة فى هذا الكون يعمّره وينتفع بكل ما فيه وفق منهج رسمه له ، وأرمل من أجل هذا المنهج النبئين مبشرين ومنذرين ،

وسخر له كل ما يعينه على أداء دوره وواجهه من شمس وقمر ، ونجوم ، وجبال ، وشجر ، ودواب ، وأرض وسماء ، وماء وهواء ... إلخ ، وحدد له أجلا معيناً يحقق فيه ما طلب منه ، ثم جعل له داراً أخرى غير هذه الدار يلقي فيها جزاء عمله من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ، وما على العاقل - بعد ما تقدم - إلا أن يلقي الدنيا عن كاهله ، وأن يطرحها وراءه ظهرياً ، واضعاً نصب عينيه الآخرة التي هي دار القرار ، وما قرب إليها من قول وعمل ، وإذا كان له أن يأخذ حظه من الدنيا فليكن ذلك بقدر ، ووفقاً للمنهج الذي ارتضاه الله - عز وجل - لنا ديناً ، ولئلا يطمئن الناس إلى الدنيا ، ويركنوا إليها ، تاركين العمل للآخرة .

بين النبي ﷺ عمر الدنيا في جنب الآخرة، وأنه لا يعدو أن يكون ساعة من نهار ، وحتى تستقر هذه الحقيقة في النفوس، ساق النبي ﷺ حديثه هنا على طريق المثل فقال : ليس لي تعلق بالدنيا ، وليس للدنيا تعلق بي ، وكيف أتعلق بالدنيا وتتعلق الدنيا بي ؟ وما مثلي ومثلها إلا كمسافر ركب مطيته وسار في يوم هجير شديد قيظه ، فلما اشتد به التعب نزل ، فقال تحت شجرة فترة وجيزة لا تتجاوز الساعة ريشما ابتلع أنفاسه ، وعاد إليه نشاطه ، ثم راح وترك الشجرة مستأنفا السير من جديد ليصل إلى نهاية رحلته .

وهكذا ثبت النبي ﷺ هذه الحقيقة في النفس ، فلم تعد تنسى بواسطة المثل ، وصدق الله الذي يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) [الحشر] ، ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٥) [إبراهيم] .

ولما كان هذا الحديث يوهم بظاهره وجوب ترك الدنيا ، والإعراض عنها بالكلية ؛ لزم أن نتحدث عن :

* موقف المسلم من الدنيا .

* بعض النصوص الأخرى الواردة في التحذير من الدنيا .

وذلك على النحو التالي :

أولاً : موقف المسلم من الدنيا :

ويتلخص موقف المسلم من الدنيا في : أنه لا بأس ولا حرج عليه أن يصيب من

الدنيا ما شاء بشرطين :

الأول : أن تكون من طريق مشروع يقره الإسلام ويرضى عنه .

الثاني : أن تكون هذه الدنيا في يد المسلم لا في قلبه ، بحيث إذا طلبت منه في أى وقت تنازل عنها ابتغاء رضوان الله دون أن يتعلق قلبه بها .

وعلى ذلك يمكن أن تنتزل النصوص الواردة في مدح الدنيا ووجوب النيل منها ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ [المائدة] ، ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (١١٤) [النحل]

[النحل]

« نعم المال الصالح في يد العبد الصالح » (١) .

« الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة . . . » الحديث (٢) .

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالما أو متعلما » (٣) .

وكان كثير من السلف أثرياء ، بيد أن الدنيا كانت بأيديهم لا في قلوبهم ، فلما دعوا إلى التضحية والجهاد ، تنازلوا عنها وما ضنّوا بها .

لقد تنازل أبو بكر مرة عن كلِّ ماله ، ولما سئل : ماذا أبقيت لأهلك ؟ أجاب : أبقيت لهم الله ورسوله (٤) . وجهز عثمان رضي الله عنه لجيش كله في إحدى الغزوات من ماله

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في : المسند ٤ / ١٩٧ ، ٢٠٢ من حديث عمرو بن العاص قال : بعث إلى رسول الله ﷺ فقال : « خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اتنى » ، فأتيته وهو يتوضأ . فصعد في النظر ثم طأطأ فقال : « إني أريد أن أبنيك على جيش فيسلمك الله ويعنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة » . قال : قلت : يا رسول الله ، ما أسلمت من أجل المال ، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ ، فقال : « يا عمرو ، نعم المال الصالح للمرأة الصالحة » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الرضاع : باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٢ / ١٠٩٠ رقم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وابن ماجه في : السنن : كتاب النكاح : باب أفضل النساء ١ / ٥٩٦ رقم (١٨٥٥) بلفظ مختلف ، والإمام أحمد في : المسند ٢ / ١٦٨ ، وورد في الفتح الكبير ٢ / ١١٦ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩ / ١٩٨] من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٧ رقم (٤١١٢) واللفظ له ، وورد في الفتح الكبير ٢ / ١١٦ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الزكاة : باب في الرخصة في ذلك ٢ / ١٢٩ رقم (١٦٧٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما . فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قلت : مثله ، قال : وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت =

الخاص ، حتى قال عنه النبي ﷺ : « ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم » (١) .

وتنازل عمر بن الخطاب يوماً عن نصف ماله في سبيل الله (٢) ، وتنازل صهيب الرومي عند الهجرة عن كل ماله ؛ لثلا يحول ذلك بينه وبين الهجرة ، حتى أن النبي ﷺ قال له : « ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب » (٣) .

ثانياً : بعض النصوص الأخرى الواردة في التحذير من الدنيا :

هذا وقد وردت نصوص أخرى غير حديث الباب ترهّد في الدنيا وتحذّر منها ومن الركون إليها ، والاطمئنان بها ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢٤] [يونس] ، ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [٤٥] [الكهف] ، ﴿ اْعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [٢٠] [الحديد] ، ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ ﴾ [١٤] [آل عمران] ، ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [٣٣] [لقمان] .

ويقول النبي ﷺ : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليتنظر به يرجع » (٤) .

= لاهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أمابقك إلى شيء أبدا ، وأخرجه الترمذى في : السنن : كتاب المناقب : باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . [صحيح الترمذى بشرح ابن العربي المالكي ١٣٩/١٣] ، والدارمي في : السنن : كتاب الزكاة : باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ٣٩١/١ ، ٣٩٢ .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في : المسند [الفتح الرباني للساعاتي ١٩٣/٢١] من حديث عبد الرحمن ابن خباب السلمي ، وعبد الرحمن بن سمرة مرفوعاً به ، وبنحوه .

(٢) رواية أبي داود والترمذى والدارمي السابقة .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ نقلا عن ابن هشام .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢١٩٣/٤ رقم (٢٨٥٨) ، وأخرجه الترمذى في : السنن : كتاب الزهد [صحيح الترمذى =

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (١) .

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافرا منها شربة ماء » (٢) .

إلى غير ذلك من النصوص ، فيمكن حملها على حب الدنيا والتعلق بها وتمكنها من القلب مع نسيان لقاء الله والدار الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ [يونس] ، ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (١٨) ﴾ [الإسراء] .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلي :

١ - التحذير من الركون إلى الدنيا ، والاطمئنان بها مع الغفلة عن لقاء الله والدار الآخرة ؛ لأن الدنيا ليست بدار قرار ، ومن هنا جاء على لسان مؤمن آل فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٣٩) ﴾ [غافر] ، وقال الله لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النساء : ٧٧] ، ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨) ﴾ [التوبة] .

= شرح الإمام ابن العربي المالكي ٩ / ١٩٩ [، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٦ رقم (٤١٠٨) بلفظ متقارب ، والإمام أحمد في : المسند ٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وورد في الفتح الكبير ٣ / ٣٠٠ ، وفي رياض الصالحين : باب فضل الزهد في الدنيا ص ٢١٤ .
(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ٨ / ١١٠ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، والترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في قصر الأمل [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩ / ٢٠٣] ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٨ رقم (٤١١٤) وزاد : « وعد نفسك من أهل القبور » ، والإمام أحمد في : المسند ٢ / ٢٤ ، ٤١ ، ١٣٢ بالفاظ متقاربة ، وورد في : الفتح الكبير ٢ / ٣٣٣ ، وفي رياض الصالحين : باب فضل الزهد في الدنيا ص ٢١٦ ، وأورده السخاوي في : المقاصد الحسنة ص ٣٢٩ رقم (٨٤٧) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في هوان الدنيا على الله - عز وجل - [صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي ٩ / ١٩٨] من حديث سهل بن سعد ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا ٢ / ١٣٧٧ رقم (٤١١٠) بلفظ مختلف ، وورد في : الفتح الكبير ٣ / ٤٧ ، وفي كشف الحفاء ومزيل الإلباس ٢ / ٢٠٧ ، وفي رياض الصالحين : باب فضل الزهد في الدنيا ص ٢١٨ .

٢ - الصبر على متاعب الحياة وآلامها ، حتى نلقى الله ، وقد ألمح النبي ﷺ إلى هذه الفائدة التربوية والدعوية حين شبه نفسه بمسافر ركب مطيته في يوم هجير شديد الحر ، فلما اشتد به التعب نزل فاستراح ساعة ثم استأنف المسير ، متحملاً مشاق الرحلة ليعود إلى بيته وداره . وكذلك المسلم في الدنيا يلاقى كثيراً من المشاق والمتاعب ، بل كثيراً ما يتعرض للمحن والبلايا ، وواجهه أن يصبر ، وأن يستعين بالله ، وكلما اشتد به التعب استراح قليلاً ثم استأنف الطريق حتى يلقى ربه مؤمناً صابراً محتسباً .

٣ - التركيز على الأمثال في الدعوة والتربية ، فإنها تدفع عن الإنسان السأم والملل ، وأيضاً تبرز له المعنى المعقول في صورة المحسوس المرئي ، فيتمكن من النفس ولا ينسى أبداً .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ [العنكبوت] .

الحديث الرابع

قال رسول الله ﷺ :

« ما من رجل يعود مريضاً مُمَسِّياً ، إلا خرج معه سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَسْتَغْفِرُونَ له حتى يُصْبِحَ ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحاً خرج معه سبعون أَلْفَ مَلِكٍ يَسْتَغْفِرُونَ له حتى يَمْسَى » .

تخريجه :

الحديث ورد بهذا اللفظ فى : الفتح الكبير ٣ / ١١٠ .

وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجنائز : باب فى فضل العيادة على وضوء ٣ / ١٨٥ رقم (٣٠٩٨) بلفظ : « ... سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة ... يستغفرون له حتى يمسي وكان له خريف فى الجنة » .

وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكي ٤ / ١٩٣] بلفظ : « ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة » . وقال : حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى ثواب من عاد مريضاً ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ رقم (١٤٤٢) بلفظ مختلف .

وأحمد فى : المسند ١ / ١١٨ ، ١٢١ بمعناه .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب عيادة المريض وتشجيع الميت ص ٢٩٧ . وعقب عليه بقوله : رواه الترمذى .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٦٦ رقم (٥٥٩٣) من حديث على بن أبى طالب ؓ به .

معناه :

لما كان من رسالة المسلم نصيح الناس ، وتوجيههم ، وإرشادهم ، والأخذ بأيديهم إلى صراط العزيز الحميد ؛ لزمه أن يبحث عن الوسائل والأساليب التي تكسبه ودّ الناس وتؤثر فيهم ، وتستميل قلوبهم نحوه ، وليس هناك أكثر تأثيراً في الناس ، واستمالة لقلوبهم من رعاية الآداب الاجتماعية : كعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، وبذل النصيحة ، وإجابة الدعوة ، وطلاقة الوجه ، وتفقد الغائب ، والسؤال عنه ، ومعاونة المحتاج ، وتفريج كربته ... وهلمّ جراً .

والحديث الذي نحن بصده الآن يرشدنا إلى ضرورة عيادة المريض والسؤال عنه ، بيان الأجر والثواب الذي يناله العائد من حين يخرج حتى يرجع : أنه إن عادته في المساء شيعة سبعون ألف ملك بالدعاء والاستغفار حتى يصبح ، وإن عادته في الصباح شيعة سبعون ألف ملك بالدعاء والاستغفار كذلك حتى يمسي .

وإليك الآن : طائفة من الأحاديث في فضل عيادة المريض :

يقول رسول الله ﷺ : « إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة : يا بن آدم ، مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا بن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا بن آدم ، استسقيتك فلم تسقني ، قال : يارب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟ » (١) .

(١) أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل عيادة المريض ٤ / ١٩٩٠ رقم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة ، والإمام أحمد في : المسند ٢ / ٤٠٤ من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ عن الله - عز وجل - أنه قال : « مرضت فلم يعدني ابن آدم ، وظمئت فلم يسقني ابن آدم ، فقلت : أتمرّض يارب ؟ قال : يمرض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يعاد ، فلو عادته كان ما يعودده لي ، وظمأ في الأرض فلو سقى كان سقاء لي » .

ويقول عليه السلام: « عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العاني » (١) .

«إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرْفَةِ الجنة حتى يرجع»، قيل: يا رسول الله ، وما خُرْفَةُ الجنة ؟ قال : « جناها » (٢) . إلى غير ذلك من الأحاديث .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من الحديث دعويا وتربويا ما يلي :

١ - ضرورة الحرص على عيادة المريض كلون من ألوان رعاية الآداب الاجتماعية ويساعد على القيام بها .

٢ - أن يتذكر المسلم مقدار الأجر الذي يكتب له من حين يخرج حتى يعود .

٣ - وأن يتذكر أنه حين يعود المريض ، فهو في رحمة من الله ورضوانه من حين يخرج حتى يرجع .

٤ - وأن يضع في حسابه أنه لن ينجح في كسب ثقة الناس وفي التأثير فيهم بغير هذه الطريقة ونحوها .

٥ - وأخيرا ، أن يتذكر أن هذا حق المسلم عليه إذ جاء في الحديث :

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب فكّك الأسير ٤ / ٨٣ من حديث أبى موسى بلفظ : « فكّوا العاني - يعنى الأسير - وأطعموا الجائع ، وعودوا المريض » ، وفى النكاح : باب حق إجابة الوليمة والدعوة بلفظ : « فكّوا العاني ، وأجيبوا الداعي ، وعودوا المريض » ٧ / ٣١ ، وفى الأطعمة بلفظ : « أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكّوا العاني » ٧ / ٨٧ ، وفى الطب : باب وجوب عيادة المريض ٧ / ١٥٠ ، وفى الأحكام : باب إجابة الحاكم الدعوة بلفظ : « فكّوا العاني ، وأجيبوا الداعي » ٩ / ٨٨ ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الجنائز : باب الدعاء للمريض بالشفاء عند العيادة ٣ / ١٨٧ رقم (٣١٠٥) ، والدارمى فى : السنن : كتاب السير : باب فى فكّك الأسير بلفظ : « فكّوا العاني وأطعموا الجائع » ٢ / ٢٢٣ . والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٣٩٤ ، ٤٠٦ .

(٢) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل عيادة المريض ٤ / ١٩٨٩ رقم (٢٥٦٨) وما بعده من حديث ثوبان مولى رسول الله عليه السلام بلفظ : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم ، لم يزل فى خُرْفَةِ الجنة حتى يرجع » . وفى رواية : « من عاد مريضاً لم يزل فى خُرْفَةِ الجنة » ، قيل : يا رسول الله ، وما خُرْفَةُ الجنة ؟ قال : « جناها » ، وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكي ٤ / ١٩١ - ١٩٣] ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ بالفاظ مختلفة .

« حق المسلم على المسلم خمس : ردّ السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » (١) .

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٢ / ٩٠ من حديث أبى هريرة به ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ٤ / ١٧٠٤ رقم (٢١٦٢ وما بعده) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى العطاس ٤ / ٣٠٦ رقم (٥٠٣٠) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجنائز : باب النهى عن سب الأموات ٤ / ٥٣ بلفظ : « للمؤمن على المؤمن ست خصال ... » ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء فى عيادة المريض ١ / ٤٦١ ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣٣٢ ، ٣٧٢ ، ٤١٢ ، ٥٤٠ بالفاظ مختلفة .

الحديث الخامس

قال رسول الله ﷺ :

« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلّكم على شيء لو فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

تخريجه :

أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ... إلخ ١ / ٧٤ رقم (٥٤) .

وأخرجه البخارى فى : الأدب المفرد : باب إفشاء السلام ص ٤٣٣ رقم (٩٨٠) من حديث أبى هريرة به ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب إفشاء السلام ٤ / ٣٥٠ رقم (٥١٩٣) بلفظ متقارب .

وهو جزء من حديث رواه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالکى ٩ / ٣١٥] عن الزبير بن العوام . ورواه أيضا فى : أبواب الاستئذان : باب ما جاء فى إفشاء السلام [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالکى ١٠ / ١٦٠] عن أبى هريرة .

وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب فى الإيمان ١ / ٢٦ رقم (٦٨) ، وفى : الأدب : باب إفشاء السلام ٢ / ١٢١٧ ، ١٢١٨ رقم (٣٦٩٢) بنحو رواية أبى داود .

والإمام أحمد فى : المسند ١ / ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢ / ٣٩١ ، ٤٤٢ ، ٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٥١٢ .

وورد فى : الفتح الكبير ٣ / ٢٩٨ بلفظ : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ... » .

وأورده الإمام النووى فى : رياض الصالحين : كتاب السلام : باب فضل السلام والأمر بإفشائه ص ٢٨٦ من حديث أبى هريرة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه مسلم » .

كما أورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ١٨٨ رقم (٦٠٤) من حديث أبى هريرة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه مسلم » .

معناه :

تضمن هذا الحديث أدبا رفيعا من الآداب الإسلامية الاجتماعية التى لها دور كبير فى التأثير على نفوس الناس وكسب ثقتهم ومودتهم ، وإشعارهم بالأمن والأمان والطمأنينة . إنه الأمر بإفشاء السلام ونشره بين الجماعة المسلمة ، إشارة إلى استتاب الأمان وشيوعه بين كل أبناء المجتمع ، وليكون وسيلة قوية من وسائل الإلف والحب والمودة .

وحتى يحمل النبى ﷺ الجماعة المسلمة على الامتثال والسمع والطاعة بالنسبة لهذا الأدب الرفيع ، ربط ذلك بالمنافع المترتبة عليه ، فقال : « إن دخولكم الجنة وفوزكم بنعيمها متوقف على الإيمان ، وإن تدوكم خلاوة الإيمان متوقف على محبة بعضكم بعضا محبة خالصة لله ، وإن شيوع هذه المحبة لن يكون إلا بإفشاء السلام ، ونشره بينكم ، وهكذا فإن من يدرك هذه المنافع المترتبة على إفشاء السلام الواردة فى الحديث لا يسعه إلا الامتثال والتنفيذ والتطبيق ، وصدق رسول الله ﷺ حين يقول عن نفسه : « أوتيت جوامع الكلم » (١) .

طائفة من النصوص فى فضل السلام والأمر بإفشائه :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] ، ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ رقم (٥٢٣) من حديث أبى هريرة ولفظه : « ... ونصرت بالرعب على العدو ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فَوُضِعَتْ فى يدي » ، وفى الباب أحاديث غيره بالفاظ مختلفة . وأخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الجهاد : باب قول النبى ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » ٤ / ٦٥ بلفظ : « بعثت بجوامع الكلم ... » ، وكتاب التعبير : باب رؤيا الليل ٩ / ٤٣ بلفظ : « أعطيت مفاتيح الكلم ... » ، وباب المفاتيح فى اليد ٩ / ٤٧ ، وكتاب الاعتصام : باب قول النبى ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » ٩ / ١١٣ ، والترمذى فى : الصحيح : أبواب السير : باب ما جاء فى الغنime [صحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكي ٧ / ٤٢] بلفظ : « أعطيت جوامع الكلم » ، والنسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب وجوب الجهاد ٦ / ٣ ، ٤ بلفظ رواية البخارى الأولى ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٤١٢ ، ٥٠١ .

عَنْ اللَّهِ مَبَارَكَةً طَيِّبَةً [النور : ٦١] ، ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٩٦] ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ [الذاريات] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ؛ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله آدم ، قال : اذهب ، فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك ، وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله » (٢) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار المقسم (٣) .

(١) أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب إطعام الطعام من الإسلام ١ / ١٠ ، وكتاب الاستئذان : باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ٨ / ٦٥ واللفظ له ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان تفاضل الإسلام وأى صورة أفضل ١ / ٦٥ رقم (٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو به ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب إفشاء السلام ٤ / ٣٥٠ رقم (٥١٩٤) ، والنسائى فى : السنن : كتاب الإيمان : باب أى السلام خير ٨ / ١٠٧ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الأطعمة : باب إطعام الطعام ٢ / ١٠٨٣ رقم (٣٢٥٣) ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٦٩ بلفظ : « أى الأعمال خير ... » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاستئذان : باب بدو السلام ٨ / ٦٢ من حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فزادوه ورحمة الله ... » ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤ / ٢١٨٣ ، ٢١٨٤ رقم (٢٨٤١) من حديث أبى هريرة به ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٣١٥ بنحوه . وورد فى : الفتح الكبير ٢٠ / ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاستئذان : باب إفشاء السلام ٨ / ٦٥ بهذا اللفظ وتكملته : « ... ونهى عن الشرب فى الفضة ، ونهانا عن تختم الذهب ، وعن ركوب الميثر ، وعن لبس الحرير ، والديباج ، والقصى ، والإستبرق » ، ورواه أيضاً فى الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٢ / ٩٠ ، وفى المظالم : باب نصر المظلوم ٣ / ١٦٩ ، وفى النكاح : باب حق إجابة الوليمة والدعوة ٧ / ٣١ ، وفى الأشربة : باب آتية الفضة ٧ / ١٤٦ ، ١٤٧ ، وفى اللباس : باب الميثرة الحمراء ٧ / ١٩٧ ، ١٩٨ ، وفى الأدب : باب تشميت العاطس إذا حمد الله ٨ / ٦١ بتقديم وتأخير وذكر : « ... إجابة الداعى ، ورد السلام » بدلا من : « نصر الضعيف ، وإفشاء السلام » ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ٣ / ١٦٣٥ رقم (٢٠٦٦) =

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس ، أفسوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا الناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » (١) . . . إلى غير ذلك من النصوص .

هذا ، وللسلام أحكام وآداب يمكن الرجوع إليها في كتب الفقه والحديث .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلي :

١ - الحرص على إفساء السلام وشيوعه بين المسلمين ، لتشعر النفوس بالأمن والأمان ، والطمأنينة ، ولتقترب القلوب من بعضها ، فيسهل استمالتها وتطويعها لما يجب أن تكون عليه ، ويسهل على المسلم الالتزام بهذا الأدب العالي :

* أن يتذكر مقدار الأجر والثواب الذي يجنيه من وراء إفساء السلام .

* وأن يتذكر أنه وسيلة ناجحة في التقريب بين القلوب وربطها ببعضها البعض .

* وأن يتذكر أنه حق المسلم على أخيه المسلم كما مر في الحديث آتفا .

* وأخيرا ، أن يتذكر أنه مأمور به من قبل الله ورسوله ، وما على المؤمنين الصادقين إلا أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، ليكونوا بذلك من المفلحين الفائزين .

٢ - من أساليب الدعوة والتربية تذكير المسلمين بالفوائد والمنافع المترتبة على ما يطلب منهم أن يقوموا به من قول أو فعل ، فإن ذكر هذه الفوائد والمنافع يحرك النفوس ، ويدفعها إلى العمل الدائب المستمر ؛ لتظفر بمطلوبها ، وتنال مرغوبها ، إذ الإنسان - كما يقولون - ابن مصلحته أو منفعته .

= بنحو روايات البخاري ، والترمذي في: السنن : كتاب الأدب [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ١٠ / ٢٥٢] ، والنسائي في: السنن : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ٤ / ٥٤ ، وفي الإيمان والنذور : باب إبرار القسم ٧ / ٨ ، وأحمد في: المسند ٤ / ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن : كتاب صفة القيامة [صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي ٩ / ٣٠٠] دون ذكر : « وصلوا الأرحام » ، وأخرجه ابن ماجه في: السنن : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في قيام الليل ١ / ٤٢٣ (١٣٣٤) ، وفي الأطعمة : باب إطعام الطعام ٢ / ١٠٨٣ رقم (٣٢٥١) ، والدارمي في: السنن : كتاب الصلاة : باب فضل صلاة الليل ١ / ٣٤١ ، وفي الاستئذان : باب في إفساء السلام ٢ / ٢٧٥ ، وفي الأطعمة : باب في إطعام الطعام ٢ / ١٠٩ بلفظ : « اعبدوا الرحمن ، وأفسوا السلام ، وأطعموا الطعام ، تدخلوا الجنان » ، والإمام أحمد في: المسند ٢ / ١٧٠ ، ١٩٦ بنحو رواية الدارمي الأخيرة ، وورد في: الفتح الكبير ٣ / ٣٨٠ .